

الخلايا النائمة

بقلم: شكري حبيبي

لا بد أن الكثيرين منا سمعوا مؤخراً في أجهزة الإعلام هذا التعبير "الخلايا النائمة". وهو يشير إلى الأفراد المنضمين إلى المجموعات الإرهابية، والمنتشرين في بقاع كثيرة من أنحاء العالم. وميزة هؤلاء الأفراد أنهم حاملون لا نشاط لهم أو حركة، ومن الصعب الكشف عنهم، ومعرفة هوياتهم، لهذا لقبوا بالخلايا النائمة. لكن هذه الخلايا النائمة على استعداد للنهوض وبدء العمل، والقيام بالمهام التي يطلبها منهم قادة التنظيم في الوقت المعين. ومن هنا تأتي خطورتها، وأهمية الكشف عن هوية أفرادها. وأذكر عندما كنت طالبا في الثانوية، أنني فوجئت مرة بزميل لي يهمس في أذني قائلاً: أن الأستاذ الفلاني هو عضو نائم في تنظيم أحد الأحزاب، وكانت هذه هي أول مرة أسمع فيها في حياتي هذا التعبير، فاستغربت كثيراً، لكون هذا الأستاذ بعيداً جداً بنظري عن مثل هذه الأمور. ثم ما لبثت أن دارت الأيام، فأكدت لي صحة كلام زميلي.

لكن ما مناسبة هذا الكلام الآن؟ هل تدري قارئ أن الكثيرين من المؤمنين الحقيقيين بالمسيح هم كحالة هؤلاء الخلايا النائمة؟ فهم اختبروا يوماً خلاص المسيح، والولادة الثانية، وانقلبت حياتهم رأساً على عقب. وأدركوا سلام الله العجيب، وفرحه الدائم. وكانوا يشهدون عن نعمة الله لكل من يصادفهم، ويحضرون كل الاجتماعات الروحية، ويقرأون الكتاب المقدس بلهفة شديدة، ولهم شركة روحية عميقة مع الله عن طريق الصلاة. لكن أتى يوم فترت فيه همتهم، وخمدت حماسهم، والتفت هموم العالم ومغرياته حول أعناقهم، فأصبحوا ويا للأسف من الناحية الروحية كالخلايا النائمة التي لا حراك لها ولا نشاط. ولعل الفرق الهام والوحيد بين هؤلاء المؤمنين من النائمين، وأولئك من الخلايا النائمة في التنظيمات الإرهابية والسياسية، أن أولئك ينمون لهدف التغطية والإختباء عن أجهزة الأمن، وهم على استعداد لمعاودة نشاطهم عندما يُطلب منهم. بينما المؤمنون النائمون، قد أوقفوا نشاطهم لفتورهم في الحياة الروحية، ولوقوعهم في شبك هموم العالم ومغرياته.

هل تدري قارئ أن العهد الجديد سبق أن تحدث عن هؤلاء المؤمنين النائمين؟ لا بل نراه يحثهم على النهوض الروحي والإستيقاظ. هناك ثلاثة شواهد سنتأمل بها، حول هذا الموضوع الهام، نجدها في رسائل الرسول بولس.

الشاهد الأول

كتب الرسول بولس في رسالته إلى المؤمنين في رومية قائلاً: "هذا وإنكم عارفون الوقت أنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم. فإن خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور. لنسلك بلياقة كما

في النهار لا بالبطر والسكر لا بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد. بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات. " (رومية ١٣: ١١-١٤)

يدعو الرسول بولس المؤمنين هنا إلى الإستيقاظ من النوم، أي النوم الروحي، وذلك لأن يوم خلاصهم أي تحررهم من خيمة الجسد الفاسد، ولبسهم الأجساد الممجدة قد اقترب. وهذا دافع مهم يحث المؤمنين لكي يستيقظوا من نومهم الروحي، ويستأنفوا نشاطهم الروحي بكل جد ونشاط. فإذا كان الرسول بولس قد أطلق هذه الدعوة قبل ألفي سنة، فماذا عنا نحن اليوم في أوائل القرن الحادي والعشرين؟ من البديهي أن يوم خلاصنا، وتحريرنا النهائي يقترب مع مضي

كل يوم، ونتوقع حدوثه في أية لحظة.

لكن لنلاحظ أن الرسول بولس ربط بين دعوة الاستيقاظ وسلوك المؤمن اليومي. وذلك لأن من صفات المؤمن النائم روحياً، أنه يسلك بحسب الجسد، وليس بحسب الطبيعة الروحية الجديدة. ولهذا دعا المؤمن النائم، لكي يخلع أعمال الظلمة، أي يخلع كل ما هو فاسد، أو فيه أية شائبة. ويلبس مكانها أسلحة النور، التي هي الصلاة وقراءة الكتاب المقدس وحضور الاجتماعات الروحية. وتابع داعياً المؤمن لكي يسلك بلياقة مبتعداً عن كل أعمال الجسد الشريرة. وأن يلبس الرب يسوع المسيح، أي يتمثل بالرب يسوع، ويكون في شركة روحية عميقة معه. ولا يصنع أي تدبير للجسد لأجل الشهوات.

الشاهد الثاني

ونجده في رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في أفسس. فبعد أن حث الرسول بولس المؤمنين في الأصحاح الخامس من رسالته، لكي يتمثلوا بالله كأولاد أحبائه، وأن يسلكوا في المحبة كما أحبهم المسيح، ويبتعدوا عن كل أعمال الشر والفساد، دعاهم لكي لا يشتركوا في أعمال الظلمة غير المثمرة، بل بالحري أن يوبّخوها. ثم أضاف قائلاً: "ولكن الكل إذا توبّخ يظهر بالنور. لأن كل ما أظهر فهو نور. لذلك يقول استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضيء لك المسيح. " (أفسس ٥: ١٣ و١٤)

عاد الرسول بولس في هذا الشاهد إلى سفر النبي إشعياء، الأصحاح الستين، حيث تنبأ عن كنيسة المسيح قائلاً: "قومي استتيري لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك. " (إشعياء ٦٠: ١) فالدعوة هنا إلى المؤمنين بالمسيح لكي يقوموا ويستيقظوا، ويتمتعوا بنور الرب. وهكذا الرسول بولس يدعو المؤمنين النائمين لكي يستيقظوا، لا بل أن يقوموا من الموت الروحي، ويسلكوا بنور المسيح. فهم كما

قال في نفس المقطع: "لأنكم كنتم قبلا ظلمة وأما الآن فنور في الرب. اسلكوا كأولاد نور." (أفسس ٥:٨)

الشاهد الثالث

ونجده في رسالة الرسول بولس الأولى إلى المؤمنين في تسالونيكي، عندما كان يتحدث الرسول بولس عن يوم الرب والمجيء الثاني للرب يسوع المسيح، الذي "كلص في الليل هكذا يجيء". فقال: "وأما أنتم أيها الاخوة فلستم في ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص. جميعكم أبناء نور. وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة." ثم ختم قائلا: "فلا ننم إذا كالباقين بل لنسهر ونصح. لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون. وأما نحن الذين من نهار فلنصح لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص." (١ تسالونيكي ٥:٤-٨)

صحيح أننا كمؤمنين لن يدركنا يوم الرب أو مجيئه الثاني كلص في الليل، لأننا جميعا أبناء نور وأبناء نهار. لكن هناك خطر أن ننام روحيا، فنغرق أنفسنا بأمور هذا العالم الفاني، وننسى أننا أولاد للرب، تقع علينا مسؤوليات، ولدينا واجبات علينا أن نقوم بها. ولهذا دعانا الرسول بولس لكي نسهر روحيا ونصحو، بأن نلبس الأسلحة الروحية، درع الإيمان والمحبة، وخوذة رجاء الخلاص.

لكن الرسول بولس عاد ليؤكد لنا قائلا: "لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص برينا يسوع المسيح الذي مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعا معه. لذلك عزّوا بعضكم بعضا وابتوا أحذكم الآخر كما تفعلون أيضا." (١ تسالونيكي ٥:٩-١١) يطمئننا هنا الرسول بولس كمؤمنين، أننا سواء كنا ساهرين روحيا أم نياما، لا بد عند مجيء الرب ثانية أن نخطف على السحاب، ونأخذ الأجساد الممجدة، ونحيا مع الرب إلى الأبد. وبتعبير آخر لا يوجد خطر على خلاصنا كمؤمنين، فالنوم الروحي لا يفقد

المؤمن خلاصه. صحيح أن النائم روحيا يخسر علاقته الممتعة مع الرب، وبهجة الخلاص، والشركة مع الإخوة المؤمنين، ويعيش حياة فاشلة مليئة بالاحباط واليأس، لكنه لن يفقد خلاصه.

وماذا عنك أخي المؤمن؟ هل أنت من النائمين روحيا؟ وهل أثقلتك هموم الحياة ومشاغلتها، حتى فقدت الرؤية الصحيحة للأمور، وفقدت بهجة الخلاص و شركتك الحلوة مع الرب يسوع مخلصك؟ يدعوك الرسول بولس اليوم لكي تستيقظ من النوم وتصحو، وتجدد عهدك مع الرب الذي أحبك، ومات من أجلك، ووهبك الخلاص الكامل.